تمهيد :

تميّز الشيعة عن غيرهم من المسلمين في اعتقادهم في أهل البيت أنّهم أفضل هذه الأُمّة بعد النبيّ، وأنّ الإمامة فيهم، لا تصلُح لسواهم، عملاً بالنصوص القرآنيّة والنبويّة الثابتة، فمثّلوا بذلك الامتداد الطبيعي السليم للإسلام المحمّدي الأصيل.

ولأسباب وأحداث مختلفة خرجت من هذه الفئة فرق عديدة انفردت بعقائد جديدة لم تكن معروفة عند الفئة الأُمّ (الشيعة) ولا عند غيرها من فرق المسلمين.

وبالرغم من أنّ هذه الفرق الجديدة قد تميّزت بأسمائها وعقائدها، فهي ما زالت تُنسَبُ خطأً إلى التشيّع، وإلّا فأين الغلاة والباطنيّة من التشيّع، وإنّما نصيبهم منه كنصيب الخوارج والنواصب! بل هُم أكثر بُعداً.

فقد صحّ الحديث عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام: «إن فيك من عيسى مثلاً، أبغضته يهود حتّى بهتوا أُمّه، وأحبّته النصارى حتّى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به»[1].

وصحّ عن عليّ عليه السلام أنّه قال: يهلك فيّ اثنان، محبّ يُقرّظني بما ليس فيّ،

---

(١) مسند أحمد ١: ١٦٠.

ومبغض يحمله شَنَآني على أن يبهتني»[١].

فهما في البعد عنه سواء، وهو ﷺ بريءٌ منهما على حدٍّ سواء، ولا فرق في البعد عنه ﷺ بين متقدّم مارق أو متأخّرٍ زاهق، إلّا باتّجاه الانحراف.

بل الفرق الغالية أشدّ انحرافاً من الخوارج لأنّهم ادّعوا ألوهيّة العبد المخلوق فجحدوا منزلة الخالق وأشركوا بالله تعالى. يقول الشيخ الصدوق: اعتقادنا في الغلاة أنّهم كفّار بالله جلّ اسمه، وأنّهم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس[٢].

ويبقى التشيّع هو الاعتدال. والنمط الأوسط، فعليّ والأئمّة من أبنائه بشر، عبيدٌ لله، متّبعون لنبيّه، مهتدون بهديه، مؤتمرون بأمره، منتهون عمّا نهى عنه، عابدون، راجون، وهم الأئمّة في الدين، والخلفاء المطهّرون الراشدون المهديّون.

ومع هذا الفارق البيّن فما زال الجميع يُنسب إلى التشيّع على حدٍّ سواء، ويقع الخلط كثيراً، ولكنّه خلطٌ مصدره التجاهل لا الجهل، والدافع فيه إرادة طعن الجميع بعيوب البعض، والمستهدَف في هذا دائماً هم الشيعة الحقيقيّون، الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

وقديماً، ولأسباب مختلف في تعيينها أطلقت عليهم الجهة المتنفّذة في الحكم اسم (الرافضة).

فجُعل هذا اللقب المولَّد عَلَماً لجميع الفرق التي تُنسَب إلى التشيّع، إمامية وغيرها، باستثناء الزيديّة. ولكن مع مضيّ الوقت، وشياع الاسم الجديد، غلب هذا الاسم حتّى على الزيديّة، فصار لفظ (الرافضة) بديلاً عن لفظ (الشيعة)! وممّن

---

(١) مسند أحمد ١: ١٦٠.

(٢) الاعتقادات: ٧١.

استخدم هذا التعريف ابن تيميّة أثناء حديثه عن الشيعة.

لقد عرف ابن تيميّة الباطنيّة الإسماعيليّة، وكان هو صاحب الفتوى في وجوب قتالهم، كما عرف الغلاة النصيريّة وكتب في إبطال عقائدهم.

فهل عرف التشيّع بمعناه الصحيح، ليعرف من هم الشيعة ؟.

وإن كان قد عرف ذلك، فهل كانت له مساهمة هامّة في التعرّف على عقائدهم ؟.

وكيف كان منهجه في ذلك ؟.

وحين رأى الشيعة يقدّمون أهل البيت علىٰ سواهم، كيف كانت عقيدته في أهل البيت ؟ وكيف رأى سادتهم الأوّل: عليّاً والحسن والحسين عليهم السلام ؟ وكيف كان موقفه مع خصومهم وشانئيهم وأعدائهم ؟.

ذلك كلّه تجده مبسوطاً ومفصّلاً في كتابه الكبير (منهاج السُنّة)، وتجد أيضاً عقيدته في واحدة من تلك القضايا في رسالته الصغيرة حول رأس الحسين عليه السلام. وإجابات أُخرى نثرها في كتب ورسائل متعدّدة عامّتها موجود في هذين الكتابين.

فأمّا كتابه (رأس الحسين) فقد وضعه ـ جواباً علىٰ سؤال ورده ـ في بيان الموضع الذي دفن فيه رأس الحسين عليه السلام، وحقيقة الآراء المختلفة فيه، إذ ذهب بعضهم إلىٰ أنّه في الشأم، وقال بعضهم إنّه في القاهرة، وعدّه آخرون في عسقلان، وأُقيم له في الموضعين الأخيرين مقامان يزاران. فردّ علىٰ ذلك كلّه مضيفاً رأيه القاضي بأنّ الرأس بعث إلىٰ المدينة ودُفن في البقيع.

وفي أثناء ذلك يتعرّض لمقتل الإمام الحُسين عليه السلام، فيرسم لنا عقيدته في هذه

القضيّة، كما يحدّد بوضوح عقيدته في كلٍّ من الرجلين: الإمام الحسين، ويزيد..

عقيدتان لابُدّ لكلّ مسلم وكلّ حرّ أن يقف عليهما ليتعرّف على هذا الرجل بصورةٍ أتمّ.

عقيدتان أخفاهما كلّ من كتب عن ابن تيميّة، وفاءً له، لا للدين ولا للحقّ، ولا للتاريخ! سيأتي ذكرهما في محلّه.

وأمّا (منهاج السُنّة) فهو كتابه الذي سخّره للردّ على الشيعة الإماميّة الاثني عشرية في عقائدهم، إذ كان لهم في عصره انتصار كبير في العراق وإيران تحقّق على يد عالمهم ابن المطهّر الحلّي، الذي أفلح في نشر المذهب في هذين البلدين، ولا سيّما في إيران التي كان فيها الشيعة أقلّية، فتزايد عددهم بجهوده تزايداً مذهلاً، فصار يتردّد في الأوساط العلميّة والمجالس الشعبيّة اسم علّامة الشيعة ابن المطهّر، ذلك الاسم الذي أزعج ابن تيميّة كثيراً، فنالَ منه في مجالسه وخُطبه على ما بينهما من بعد المسافة.

فذلك اسمٌ حظي بنجاح كبير وسمعة فائقة طالما طمح لهما ابن تيميّة، فقد أثنى عليه الكبار وشهدوا بفضله وساروا بكتبه في الآفاق.

ومن بين كتبه الواسعة الانتشار كان كتابه (منهاج الكرامة في إثبات الإمامة) قد أحدث هزّةً عنيفة في الأوساط العلميّة والشعبيّة، خصوصاً وأنّه منذ سنين طويلة لم يظهر للشيعة كتاب في هذا الموضوع. فهو كتاب مشحون بعديد من البحوث في الكلام، والعقائد، والقرآن، والتفسير، والحديث المعروف عند الفريقين، والسير والتاريخ، والاستدلال بذلك كلّه على إمامة الأئمّة الاثني عشر، ورجحان عقائد الإماميّة.

فأثار هذا غيض ابن تيميّة وجماعة من أصحابه وغيرهم ممّن لا يريد النظر إلى الحقائق إلّا بعين واحدة، فانشغل ابن تيميّة في الردّ عليه حتّى أخرج كتابه (منهاج السُنّة) الذي هو كتابنا الأهمّ في هذا الباب.

وقبل الدخول في تفاصيل هذا الكتاب، بل قبل مزيد من التعرّف عليه، لا بُدّ من تعريفٍ وافٍ بذلك الخصم الكبير، ابن المطهّر، ابن العراق، البلد الذي له مع الشأم ـ بلد ابن تيميّة ـ قصّةٌ حَوَت نقائض عجيبة:

فحيث ألّفت الجغرافية بينهما جارين حليفين في أرض الهلال الخصيب، باعد التاريخ بينهما قبل الإسلام وبعده.

وحيث جمعتهما وحدة المجتمع عِرقاً ودِيناً، فرّقت (رؤوس المجتمع) بينهما على الدوام.

فلا غرابة إذن أن يكون هذا الفصل واحداً من فصول الصراع العراقي الشاميّ، وسنرى عند الختام أنّه كان كذلك!.

ـ سنرى ابن المطهّر عَلَويّ المولد والمنشأ والمهات والمُعتقد، وابن تيميّة أُمويّاً فيها جميعاً، أُمويّ المولد والمنشأ والمهات والمُعتقد.

ـ سنرى عَلَويّاً ينطق بالحجّة التي يعرفها خصمه ويتديّن بها كما يعرفها هو، وأُمويّاً يردّ عليه بما التقطه من عقائد المنحرفين فيذكّرك بقميص عثمان المعلّق على باب المسجد الأُموي بدمشق وما يُشيعه معاوية وعمرو بن العاص من أنّ عليّاً عليه السلام كان شريكاً في دم عثمان ومناصراً لقاتليه..

ـ سنرى علويّاً ينطق بحجّة القرآن والسُنّة، وأُمويّاً يقابله بفنون التأويل التي تذكّرك بدهاء بني أُميّة في إغراء الشاميّين بما أظهروه من تأويل باطل لآي

القرآن وأحكام الدين.

ـ سنرى علوياً يجدّد أحاديث النبيّ ﷺ في فضائل أهل بيته ووجوب اتّباعهم، وأُموياً يجحد ذلك كلّه، فبعضاً يكذّب فيه، وبعضاً يصرفه عن معانيه.

ـ سنرى علوياً ينتصر لدماء أهل البيت ﷺ، وأُموياً يهدر تلك الدماء الطاهرة على طريقة في التأويل تذكّرك بجواب معاوية بن أبي سفيان حين قال له جُنده: قتلتم عمّار بن ياسر وقد قال فيه النبيّ ﷺ: « تقتله الفئة الباغية »! فأجابهم معاوية بقوله: ما نحن قتلناه، ولكن قتله الذي أخرجه معه إلى حربنا فوضعه أمام سيوفنا!.

ـ سنرى اللغة العَلَويّة تمضي على طريقتها في التذكير بالحقّ المهدور والسُنّة المهجورة، تقابلها لغة أُمويّة تعيش عصرها الذهبي في ريشة ابن تيميّة.

تجد ذلك مبسوطاً في هذا الباب والباب الذي يليه.